الفصل الثالث

فرضية التطور والتكوين

إن فرضية التطور ترى أن جميع الأنواع المختلفة من الأحياء ترجع إلى أصل واحد ، أو أصول متعددة [١] .

وإن الأحياء تطوَّرت من أحياء بدائية ذات خلية واحدة كالأميبة والجرثومة إلى أحياء مختلفة ، تحتوى على ملايين من الخلايا .

فالأحياء كلها - النباتات ، الحيوانات - تتكوَّن من خلية واحدة ، أو من مجموعة خلايا ، وإن هذه متطورة من الأولى .

والإنسان لا يتعدى فى تكوينه عن مجموعة من الخلايا التى لا تُحصى [٢] .

فالأحياء تطوَّرت - عند التطوريين - من خلية إلى أحياء ذات خلايا ، إلى أن وصلت إلى الثدييات ، ثم إلى حيوان شبيه بالإنسان (الحلقة المفقودة) ، ثم إلى الإنسان الحالى [٣] .

فالأحياء تتطوَّر من مادة غير عضوية إلى أحياء مائية ، ثم إلى أحياء برمائية، ثم أحياء برية ، ثم إلى الإنسان [٤] .

---

(١) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الإسلامية - دار الكتاب اللبانى ، دار الكتاب المصرى ، ط ١ ، ١٩٧٧ م ، ص ١٠٥

(٢) تشارلز داروين : أصل الأنواع ، ترجمة إسماعيل مظهر . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، جـ ١ ص ٣٩

(٣) د . أنور عبد العليم : قصة التطور . دار القلم ومكتبة النهضة ، ص ٣٤

د . عادل العوا : الإنسان ذلك المعلوم . منشورات عويدات ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٠٤

(٤) د . أحمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع ، دار القلم ، الكويت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) ، ص ١٩

وإن هذه الأحياء قد تطوّرت فى الحواس ، من ذى حاسة إلى أن وصلت إلى الحيوان ، بما فيه الإنسان ذو الحواس الخمس [١] .

وكذلك الدماغ تطوّر فى حجمه إلى أن وصل إلى ما وصل إليه عند الإنسان، مما ترتب عليه زيادة فى القدرات العقلية ... [٢] .

وتعتمد نظرية التطور على قانون أساسى وهو « قانون تنازع البقاء » وثلاثة قوانين ثانوية وهى :

(أ) قانون الملاءمة بين الحى والبيئة الخارجية .

(ب) قانون استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها تحت تأثير البيئة .

(جـ) قانون الوراثة [٣] .

فكانت الأحياء ذات الخلية الواحدة بحجم كبير فى التعداد ، بينما الغذاء قليل بالنسبة إلى عددها ، مما جعلها تتقاتل من أجل البقاء فى الاستحواذ على الغذاء ، وبالتالى فإن الفائز منها هو الأقوى ، وهو الأصلح للبقاء (انتخاب طبيعى) .

كما أن فقر الأرض فى الغذاء جعل الأقوى هو الذى يستطيع أن يتنقل بحثاً عن الغذاء ، فكان هو الأصلح للبقاء .

وكذلك الأسماك فإن جفاف الأنهار فى وقت دون وقت جعل البقاء للأصلح ، وذهب الضعيف ، فمن كانت رئته أكبر كان أصلح للبقاء ، لاختزانه الماء فى رئته حتى عودة المياه إلى الأنهار .

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ١٤٣ - ١٤٥

(٢) د . حسن زينو : التطوّر والإنسان ، دار الدعوة ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ ، ص ١١٥ - ١١٦

(٣) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة . دار المعارف ، القاهرة (ج . م . ع) ، ١٩٥٧ م ، ص٣٣٩

كما أن السمكة - أو نسلها - التى كبرت رئتها - وتحملت نقصان الماء بنفس الأسلوب يجعلها مع السنين تستطيع أن تخرج تزحف خارج الماء كحيوانات برمائية .

وإن التى خرجت من الماء ، أو جف النهر عنها ، تتنازع فى البقاء ، لمن تستطيع أن تتحمل البقاء فى اليابسة كحيوانات برية [١] .

فـ « الحيوانات التى نزلت الماء نشأت لها زعانف ، وذيول ، وخياشيم . والتى اقتحمت الهواء نشأت لها أجنحة ، وريش ، وأجسام انسيابية خفيفة . والحيوانات التى اختارت الأرض لتدب عليها نشأت لها أذرع ، وأرجل ، وأصابع .

وهكذا تعدَّدت الأنواع ، ونشأت تصانيف مختلفة من الحيوانات ، كل منها مجهَّز ليواجه بيئته ، وتطوَّرت الحياة التى بدأت بخلية واحدة تقوم بكل الوظائف إلى حيوانات عديدة الخلايا راقية متخصصة ، ونشأ الحيوان الذى يستطيع أن يواجه بيئته الصعبة المعقدة ، ويعيش فيها ، ويصارعها .

وفى أثناء هذا الصراع الطويل كانت الأنواع التى تعجز عن التكيف تموت ، وكانت الأنواع التى تثبت صلاحيتها وملاءمتها تعيش ، وبهذا قامت الطبيعة بنفسها بعملية اختيار الأصلح ، والأنسب ، واستبعاد الأضعف ، والأقل ملاءمة » [٢] .

« وبديهى أننا لا ننتظر أن نرى هذه الآثار ظاهرة قوية ، أى بقوة ما نرى من

---

(١) لهنتر ميد : الفسلفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة د . فؤاد زكريا ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٩ م ، ص ١١٠ .

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٧ .

روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية . دار الطليعة ببيروت ، ط ٤ ، ١٩٨١ م ، ص ١٩٣، ٥٣٦

(٢) د . مصطفى محمود : لغز الحياة . دار النهضة العربية ، ط ٤ ، ١٩٧٣ م ص ٧٩ - ٨٠ .

الآثار التى يتركها الأب للابن ، فآثار الوراثة تضعف ، وتكاد تتلاشى بنسبة بعد الفرد الذى نرث عنه شيئاً فى جسمنا ، أو ذهننا ، وعلّة هذا الضعف ليست تقادم الزمن ، وإنما طروء الأجيال جيلاً بعد جيل ، وطبع كل جيل سماته فى عقبه ، بحيث تظهر هى ، وتستر سمات الأجيال السابقة .

فالكفايات الوراثية للإنسان تتمثل فيما ورثه عن أبويه ، ثم تستتر طبقة وراء أُخرى ، وتتضاءل هذه الطبقات حتى تصل إلى عهد الخلية الأولى ، التى نشأت منها جميع أنواع الحيوان ، والنبات ، ومنها الإنسان » [١] .

* * *

• أدلة التطوريين :

ولعل أهم أدلة التطور التى يعتمد عليها التطوريون فى أصل الإنسان والأحياء بشكل عام ما يأتى :

١ - الخلية :

إن سائر الأحياء بما فيها الإنسان لا يتعدى من أن يكون ذا خلية أو مجموعة من الخلايا [٢] .

فالإنسان ذو الخلايا التى لا يمكن حصرها ، لا تختلف الخلية عنده عن خلية الجرثومة أو الأميبة [٣] ، أو أى حيوان من جهة التركيب [٤] .

كما أن عناصر المادة فى الحيوان - العضلية ، والعظمية ، والعصبية - هى نفس عناصر التركيب لدى الإنسان [٥] .

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٤

(٢) تشارلز داروين : أصل الأنواع (مرجع سابق) جـ ١ ص ٣٩

(٣) كائن حى وحيد الخلية لا يُرى بالعين المجردة .

(٤) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٦

(٥) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦٨

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٤

« وعلى هذه المشابهة ، بل القرابة ، أمكن التعالج بأعضاء الحيوان ، فنحن نتعالج بالغدة الدرقية ، المستخرجة من الفرس إذا مرضت غدتنا ، ونحن نتعالج بإفرازات البنكرياس المستخرجة من العجل إذا أصبنا بالديابيطس - البول السكرى - ، فلو لم نكن نحن والفرس والعجل من أصل واحد ، تجرى أجسامنا جميعاً على نظام واحد ، لما أمكن التعالج بهذه الأشياء ، أى لو كان الإنسان قد خُلِق على حدة لكان له نظام آخر فى وظائف أعضائه ، يختلف عن النظام الذى نراه فى سائر الحيوان » [١] .

وإن الإنسان يبدأ خلقه كجنين من خلية واحدة كسائر الحيوانات ، وكذلك فإن سر الحياة فى الخلية عند سائر الأحياء [٢] .

٢ - حياة الجنين :

إن الجنين يبدأ تكوينه من خلية واحدة ، ثم تنقسم هذه الخلية إلى خليتين ، ثم إلى أربع ... وهكذا .

وإن الجنين فى مراحله الأولى يشبه مراحل جنين الأسماك ، والأرانب ، والقردة ... إلى بداية الأسبوع السابع كما سبق .

وعلى هذا يكون تكوين الجنين يحاكى مراحل خلقه السابقة فى الماضى السحيق ، فهو يتكوّن فى البداية من خلية واحدة كالجرثومة والأميبة ، ثم إلى هيئة السمكة ، ثم إلى هيئة حيوان مشعر ذى أربع وله ذيل ، ثم إلى إنسان[٣] .

كما أن فترة الحمل عند الإنسان والقردة العليا تسعة أشهر ، وفترة الرضاع لهما سنتان [٤] .

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٤ - ٧٥

(٢) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون ، دار الفكر العربى ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، ص٣٤-٣٥

(٣) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٧

د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٧٤

(٤) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦

« وعندما يولد الجنين البشرى يبقى مدة من الزمن وجمجمته لا تلتحم من أعلاها الأمامى ، إذ هى جلدة طرية .

وهذه الجلدة الطرية تعود بنا إلى مئات الملايين من السنين الماضية ، حين كنا من الزواحف الصغيرة الدنيئة تزحف على الأرض ، ونخشى الهجوم علينا من أعلى ، فكانت لنا عين ثالثة مكان هذه الجلدة ، ننظر بها إلى أعلى ونحذر الأعداء .

وقد استحالت هذه العين القديمة إلى الغدة الصنوبرية .

ولا تزال فى أستراليا زاحفة تشبه العظاية - السحلية الكبيرة - تمتاز بهذه العين الثالثة ، وتدعى تواتارا » [١] .

٣ - الأعضاء الأثرية :

وهى التى يحملها الإنسان كأعضاء أثرية فى جسمه ، مما ورثه عن أجداده الحيوانات وهى :

(أ) **المعى القصير** : إن له أهمية كبيرة بالنسبة للحيوان الذى يرعى الأعشاب فى عملية الهضم ، حيث يُحوِّل المواد الخشبية إلى سكر .

أما بالنسبة للإنسان الذى تغيَّر أسلوب اختياره للأطعمة ، ولم يعد من رعاة الأعشاب ، فأصبح ليس له قيمة فضمر وضعف عن مقاومة الأمراض ، مما جعله مصدراً مؤذياً للإنسان ، يتطلب استئصاله ، ولو كان مفيداً لضر استئصاله [٢].

(ب) العصعص : وقد يتكوَّن من أربع فقرات مكتنزة فى نهاية العمود

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧١

(٢) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٣

د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٧٦

الفقرى السفلى ، وصار عظماً واحداً ملتحماً ، لعدم وجود وظيفة له عند الإنسان ، وهو يمثل ما ورثه الإنسان عن الحيوانات ذات الذيول [١] .

(جـ) عضلات الأذن : إن العلم الحديث يكتشف عضلات ضامرة ، وضعيفة عن الحركة للأذن ، وذلك لأن الإنسان اعتمد فى سلوكه على الرؤية بالعين أكثر من اعتماده على السمع بالأذن [٢] .

٤ - التشابه :

إن هناك أوجه شبه بين الإنسان والحيوانات ، وخاصة القردة العليا ، فدم الإسنان يشبه فى تركيبه دم القردة العليا ، وخاصة الشمبانزى والغوريلا من أوجه كثيرة ، مما يدل على أن الإنسان والقردة يرجعان إلى أصل واحد [٣] .

وكذلك القلب ، والدورة الدموية ، والشرايين ، والأوردة ، والخصية ، والمبيض فى الإنسان والحيوان متشابهة [٤] ... والخلايا العظمية والعصبية والعضلية فى كل منهما متشابهة [٥] .

وإن هناك تشابهاً ظاهرياً بين الإنسان والقردة ، ففى اليد والقدم لكل منهما خمسة أصابع [٦] .

---

(١) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٣٥١

د . سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ٧٤ - ٧٨

(٢) د . حسن هويدى : الوجود الحق ، المكتب الإسلامى ببيروت ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ، ص٧٦

د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٧٦

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٩٠

(٣) لهنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١١٥

(٤) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦٨

(٥) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٤

(٦) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦٦

بل إن البعض يقول : « إن دم الإنسان يحتوى على اليود ، وملح الطعام ، مما يشهد على ملوحة البحر الذى عاش فيه أسلافه » [١] .

« وإننا عندما نجد شخصين متشابهين نفترض وجود قرابة بينهما ، وعلى ذلك فعندما نكتشف أوجه شبه فى التركيب أو الوظيفة بين أنواع مختلفة كالبشر والقرود مثلاً ، فمن المنطقى أن نشتبه فى وجود أصل مشترك » [٢] .

٥ - الحفريات :

لقد عثر العلماء على مجموعة قليلة من الجماجم والأسنان والفكوك ... فى عصور قديمة فى الحقب الرابع (منذ مليون سنة) ، تعود لسلالات قردية ، وسلالات شبيهة بالإنسان [٣] .

ويرى التطوريون أنه « منذ مليون سنة بدأت إحدى سلالات القردة تتطور تطوراً بطيئًا وئيداً انتهى بإنجاب الإنسان الشبيه بالقرد ، الذى ظهر منذ نحو (٢٠٠ ألف سنة) ، وامتاز عن أجداده بقدرته على التفكير ، والابتكار ، وعلى النطق والكلام ، وعلى المشى منتصباً على قدميه [٤] .

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥] .

« ولقد عثر فى تشوكوتيان على جماجم للإنسان الصينى فى بداية البليستوسين السفلى من الحقب الرابع . فـ « عُثِرَ على أول جمجمة عام ١٩٣٥ ، وقد

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٥ بتصرف .

(٢) لهنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١٠٤

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٦

(٤) سميح عاطف الزين : طريق الإيمان ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ط ٢ ، ص ٧٨

(٥) الملك : ٢٢

عزاها بلاك [1] إلى شاب ، وفايد نرايش [2] إلى طفل ذكر عمره (٨ - ٩ سنوات) ... وجمجمة - آخر - ... وقد عزاها بلاك إلى بالغ ، وفايد نرايش إلى شاب عمره (١٤ - ١٨ سنة) ، وقد اكتشفت جماجم ثلاث أُخر عام ١٩٣٦ ، اثنتان منها لذكر وأُنثى بالغين ، والثالثة لشاب ذكر ، وهى مجردة كلها من الفك .

قدَّر بلاك السعة الدماغية للجمجمة الأولى بـ ٩٦٠ سم^3 ولا تبلغ حسب تقرير فايد نرايش سوى ٩١٥ سم^3 ، فشكل القالب الدماغى قريب من الشمبانزى ، ولكن المنطقة الجبهية إنسانية ، درس فايد نرايش القالب الدماغى، وتوَّصل إلى أن الدماغ يزداد بالتوالى من الشمبانزى إلى الإنسان الصينى ، ويظهر ذلك من الإنسان الصينى إلى الإنسان الحالى .

وتصل السعة الدماغية فى جماجم أُخرى فى موقع آخر ١٠١٥ سم^3 للأُنثى، و ١٠٣٠ و ١٢٢٥ سم^3 للذكر ، وهذه الأرقام تقريبية لفقدان قاعدة الجمجمة[3] .

« وعثر عام ١٩٣٦ فى موجوكرتو (فى جزيرة جاوة) على جمجمة طفل فى طبقات جنيس البحيرية البركانية ، وينقص هذه الجمجمة قسم من قاعدتها ،

---

(١) أ . بلاك : عالم طبيعة أمريكى ، قام برحلة بحث علمى إلى الصين لدراسة الآثار الإنسانية فى النصف الأول من القرن العشرين ، وقد اكتشف الإنسان الصينى ، الذى سُمى باسمه : الإنسان العملاق بلاكى . وسمى أيضاً : الإنسان القردى العملاق .

د . حسن زينو : الإنسان والتطور (مرجع سابق) ص ٩١

(٢) فايد نرايش : عالم طبيعة أمريكى قام برحلة بحث علمى إلى الصين لدراسة الآثار الإنسانية ، بناء على اعتقاده بأن الصين هى منبع وجود الإنسان ، وذلك فى النصف الأول من القرن العشرين . ولقد قام بنقل عيناته إلى نيويورك قبيل استيلاء اليابانيون على الصين ، ومن مؤلفاته « الرجل البدائى العملاق » و « القردة والعمالقة والإنسان » .

د . حسن زينو : الإنسان والتطور (مرجع سابق) ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان . دار الدعوة ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ ، ص ٩٩ - ١٠٠ بتصرف .

انظر : قيس القرطاس : نظرية التطور . مؤسسة الرسالة ، ١٣٩١ هـ ، ط ١ ، ص ٨٣ - ٨٥

وكل الوجه ، وقد استدل من رقة عظامها على أنها لطفل عمره (٤ - ٥ سنوات) ، لكن دوبوا [١] يقول إن عمره ١٢ سنة ، ولا تتجاوز سعتها ٧٠٠ سم٣ ، بحيث تعطى للبالغ ٩٠٠ سم٣ ، الجبهة أكثر تراجعاً من جبهة الطفل الحالى من نفس العمر ، وقد بدا فيها ظهور مشارف فوق العينين فى الأقسام الجانبية ، وهى تحتوى بالإجمال على صفات بدائية ، وأخرى حديثة كالإنسان » [٢] .

« وقد عُثِرَ فى عام ١٩٠٧ فى قرية ماور على بعد ١٠ كم جنوب غرب هايدلبرج [٣] على فك سفلى على عمق ٣٤ متراً تحت سطح الأرض ، وهو كبير، وتاجه عريض ، وليس له بروز ذقنى ، وفمه إنسانى ، وأسنانه أكبر من أسنان الإنسان الحالى » [٤] .

« وعُثِرَ بين عامى (١٩٣٤ - ١٩٣٩) فى هونج كونج على ثلاثة أسنان طاحنة بشرية كبيرة مع أسنان أورونج وستفودون ، وتابير ، أحد هذه الأسنان البشرية كبير ، بحيث ينبغى أن يكون فكه ضعف فك الأورانج الحالى ، وقد أُطلق على صاحبه اسم القرد العملاق ، وسُمى نسبة إلى مكتشف الإنسان الصينى « بلاك » اسم القرد العملاق بلاكى ، حجم هذا السن ضعف أسنان الغوريلا ، وست أمثال الإنسان الحالى ...

قرر فايد نرايش أنه سن بشرى ، ولذلك غيَّر تسمية صاحبه إلى الإنسان العملاق ، وقد تخيَّل فايد نرايش شجرة السلالة ، فافترض أن الإنسان العملاق

---

(١) دوبوا : عالم بكتير يولوچى أميركى ولد عام ١٩٠١ فى فرنسا ، وقام بعدة دراسات هامة فى حقل المناعة والسل ، واكتشف الغراميسيدين عام ١٩٣٩ ، وحرر لسنوات طريلة مجلة الطب التجريبى ، ومن أشهر كتبه « باستور والطب الحديث » .

انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٢٥

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٧

(٣) هايدلبرغ : مدينة ومركز صناعى فى الجزء الجنوبى الغربى من ألمانيا الغربية ، تقع على نهر نيكر.

انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٨٦

(٤) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١٠١ بتصرف .

هذا قد هاجر إلى جاوه ، ونشأ منه الإنسان الكبير ، ثم الإنسان الصيني ، كما نشأ من الإنسان الكبير في جاوة الإنسان القردي الشديد ، الذي أصبح سلف الإنسان القردي من ترينيل ، فالإنسان تسلسل إذن من أشكال عملاقة ذات جماجم شديدة ، وبذا تميز تطورنا بالنقص التدريجى فى الطول » [١] .

فمعدل متوسط سعة الدماغ للرجل . ١٤٥ سم٣ ، والحد الأدنى . ١٢٥ سم٣، والحد الأعلى . ١٧٥ سم٣ ، ومعدل متوسط سعة الدماغ للمرأة . . ١٣ سم٣ ، والحد الأدنى . . ١١ سم٣ ، والحد الأعلى . ١٥٥ سم٣ ، والحد الأدنى للغوريلا . ٤٥ سم٣ ، والحد الأعلى . . ٥ سم٣ ، والحد الأدنى للأورانج . ٣٥ سم٣ ، والحد الأعلى . . ٤ سم٣ .

أما بالنسبة للإنسان الشبيه بالقرد - الحلقة المفقودة - فالحد الأدنى . . ٧ سم٣ ، والحد الأعلى . . ١١ سم٣ ، وقيل ١٢٢٥ سم٣ [٢] .

ومن هذه الأرقام يتضح أن هناك تدرجاً فى سعة الدماغ من القرود إلى الإنسان ، فالحد الأدنى كما سبق للإنسان . ١٢٥ سم٣ للرجل ، و . . ١١ سم٣ للمرأة .

والحد الأعلى للإنسان القردى . . ١١ سم٣ ، وقيل ١٢٢٥ سم٣ ، والحد الأدنى . . ٧ سم٣ ، والحد الأعلى للغوريلا . . ٥ سم٣ .

فهناك فرق . . ٢ سم٣ بين الغوريلا (فى الحد الأعلى) والإنسان القردى (فى الحد الأدنى) ، ويتلاشى الفرق بين الإنسان (فى الحد الأدنى) مع الإنسان القردى (فى الحد الأعلى) .

* * *

(١) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩١ - ٩٢ بتصرف .

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١١٥

• نقد الفرضية :

لعل تلك الأدلة السابقة هى أهم أدلة التطوريين على التطور فى المخلوقات من الأدنى إلى الأعلى ، سواء فى التكوين الجسمى ، أو فى تكوين الحواس .

والفرضية باعتراف الكثير من أصحابها ينقصها الدقة والموضوعية فى إثباتها، لأنها لم تقع على أسس علمية تجريبية وإنما يعتريها الكثير من الشكوك ، والظنون ، لأنها بُنِيت على كثير من التخيل فى الربط بين مراتب المخلوقات المتدرجة من الأدنى إلى الأعلى فى تكوينها .

وآراء التطوريين متشعبة داخل الفرضية ، وخاصة فى موضوع الإنسان حيث نجد أن منهم من يُرجع أصل الإنسان إلى أصول متعددة ، فالمغوليون والأورانج من أصل واحد ، والزنوج والشمبانزى والغوريلا من أصل آخر .

كما أن هناك من جعل الإنسان والقرد من أصل واحد ، ولكن الإنسان سار فى مسار تطورى إلى الأعلى ، أما القردة فلم تستطع ذلك فسارت فى الانحدار إلى الأدنى بالنسبة للأصل .

وإن هناك من يجعل أصل الإنسان القردة العليا مع وجود حلقة مفقودة بينهما فى مسار التطور ، ومنهم من يجعل أصل القردة إنسان ولكن مُسِخَت إلى قردة، وهناك من يرى أن الإنسان قد سبق وجوده وجود القردة بآلاف السنين [١] .

والتطوريون يختلفون كثيراً فى وراثة الصفات المكتسبة ، ولعل ذلك راجع إلى أن علم الوراثة لم يصل إلى ما وصل إليه فى العصر الحاضر [٢] . ولعل أهم أوجه المعارضة للفرضية ما يأتى بإيجاز :

---

(١) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن . الناشر : الرشاد الحديثة ص ٧٦

(٢) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان ، ترجمة محمد صالح الفلكى ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٦٥ م ، ص ١٤٧

١ - الحياة :

لقد سبق أن من أُسس الفرضية تحول المواد غير العضوية إلى مواد عضوية ، حيث إن تكوين الخلية الأُولى - الأميبة مثلاً - خرجت من مواد خامدة ، ثم حدث التطور .

والعلم الحديث يدل على استحالة تحول المواد غير العضوية إلى مواد عضوية، « وأن الأحياء الدقيقة تنشأ من خلايا مماثلة لها ، موجودة من قبل » [١] .

ولذلك جاء الهروب من بعض علماء التطور إلى أن الحياة انتقلت من كواكب أُخرى دون تعيين ، عن طريق ذرّات دقيقة حملتها الشُهب الصغيرة التى تقع على الأرض ، من الغبار الكونى [٢] .

فلغز الحياة أشد وأعمق من مجرد بناء الزلاليات ، أو ظواهر طبيعية وكيميائية خاصة ، بل يقول العلماد : يبدو أن مجرد وجود النواة والكترون لا يهبان الحياة » [٣] ، وإن ذلك ليس كما يتصوّره هيجل فى قوله : « أعطنى هواءً ، ومواد كيميائية ، ووقتاً ، وأنا أصنع إنساناً » [٤] .

وأعتقد أنه لو كانت الحياة تخرج من مواد خامدة - أى مواد غير عضوية بحيث تكون عضوية ، لأمكن العلماء إيجاد البيئة الملائمة لمثل ذلك كما يتصوره هيجل [٥] ، ولم يأت التحدى فى القرآن الكريم .

---

(١) ويليام بوين سارلز : علم الأحياء الدقيقة ، ترجمة د . صلاح الدين طه وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ م ، ٥٣٢

(٢) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الإسلامية ، (مرجع سابق) ص ١٠١
د . عبد المحسن صالح : الميكروبات والحياة (مرجع سابق) ص ٢٧ - ٢٨
د . أنور عبد العليـــم : قصة التطور (مرجع سابق) ص ٢١

(٣) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون (مرجع سابق) ص ٣٤

(٤) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٥ .

(٥) هيجل ، أرنست عالم : بيولوچى وفيلسوف نشوئى ألمانى عاش فيما بين (١٨٣٤ -١٩١٩) أيد فرضية دارون تأييداً حماسياً ، ووفق إلى اكتشافات فى علم الأجنة ، وفى علم الحيوان .
منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٥٤

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١).

« لقد وُضعتَ فرضيات عديدة لكى تفسر لنا كيف نشأت الحياة من عالَم الجمادات ، فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من الڤيروس (٢) ، أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة ، وقد يُخيَّل إلى بعض الناس أن هذه الفرضيات قد سدَّت الفجوة التى تفصل بين عالَم الأحياء وعالَم الجمادات ، ولكن الواقع الذى ينبغى أن نُسلِّم به ، هو أن جميع الجهود التى بُذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بخذلان وفشل ذريعين ، ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يُقيم الدليل المباشر للعالَم المتطلع على أن مجرد تجمع بعض الذرَّات والجزئيات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يؤدى إلى ظهور الحياة ، وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها فى الخلايا الحية ، وأن للشخص مطلق الحرية فى أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ، فهذا شأنه وحده ، ولكنه يُسلِّم بأمر أشد إعجازاً وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله ، الذى خلق هذه الأشياء ودبرها » (٣) .

٢ - وراثة الصفات المكتسبة :

كما سبق فإن من الأُسس التى تقوم عليها الفرضية - حتى يحدث التطور - أن يكون هناك صفات جديدة مكتسبة للأحياء ، يمكن أن تؤثر فى تواليها خلال ملايين السنين على عقبها (٤) ، بحيث يكون هناك تطور فى الجسم ، والإدراك .

---

(١) الحج : ٧٣ - ٧٤ (٢) الڤيروس : الجرثومة .

(٣) نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض : الله يتجلى فى عصر العلم - أشرف على تحريره جون كلوفر مونسما ، ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مؤسسة الحلبى وشركائه ، ط ٣ ، ١٩٦٨ م ، ص ٧٧ بتصرف .

(٤) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان ، تعريب د . نبيل صبحى الطويل ، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١ ، ١٩٧٩ م ، (١٣٩٩ هـ) ص ٩٨

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٣

وكان الاعتقاد بوراثة الصفات المكتسبة شائعاً فى القرن التاسع عشر [١] ، ولكن علم الوراثة الحديث أبطل هذا الاعتقاد .

« فينبغى التمييز بين نمط النشأة ، ونمط المظهر ، حيث يتعلق نمط النشأة بالتركيب الأصلى للبويضة (النطفة) ، ويتألف من عناصر ثابتة من جيل لآخر أى أنه ينتقل وراثياً .

أما نمط المظهر فهو تفاعل خاص بكل فرد لنمط النشأة على الشروط الخارجية ، وهو يشمل الأسباب الداخلية بفعل الأعضاء والوظائف الناجمة عن نمط النشأة ، والأسباب الخارجية من تأثير الوسط والتغذية ، كما هو الشأن لدى التوائم الحقيقية التى تتربى فى شروط مختلفة » [٢] .

فـ « الحياة فى كل الأحياء منظمة ومحددة فى تكوين شجرة ، أو كرمة عنب ، أو فيل ، أو إنسان فى اتفاق تام مع خطة مرسومة محددة بالچينات » [٣] .

فـ « كل خلية - ذكراً كانت أم أنثى - تحتوى على كروموزومات وچينات (وحدات الوراثة) ، والكروموزومية تكوِّن النوية (نواة صغيرة) المعتمة التى تحتوى على الچينة ، والچينات هى العامل الرئيسى الحاسم فيما يكون عليه كل كائن حى أو إنسان ، والسيتوبلازم هى تلك التركيبات الكيماوية العجيبة التى تحيط بالاثنتين ، والچينات (وحدات الوراثة) هى المسؤولة عن المخلوقات البشرية جميعاً التى على سطح الأرض من حيث خصائصها الفردية ، وأحوالها النفسية ، وألوانها ، وأجناسها » [٤] .

« وإن الصفات المميزة الأساسية للمليارات الثلاثة والنصف من الكائنات البشرية التى تعمر الأرض تحدَّدت منذ البداية ببضعة سنتيجرامات من هذا

---

(١) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٣

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٤٣

(٣) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٤٧ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ص ١٣٩ بتصرف .

الحامض « الديزوكسيريبونووى » ، وتطابق هذه السنتيجرامات عدداً لا يُحصى من المورثات ، وهى جزئيات بوسعها أن تنتج نسخاً طبق الأصل عنها مندمجة فى صبغيات الخلايا التناسلية ، فتؤمِّن التشابه بين الأجيال المتعاقبة . وتجرى الأمور كما لو كانت الصبغيات تحتوى على رسالة يبعث بها جيل إلى جيل لاحق مع تعليمات دقيقة رامية إلى توجيه تكوين الأفراد وفقاً لقوانين النوع ، وإذا اتبعنا الاستعارة نستطيع القول إن ثمة نصاً مرموزاً ، أو دليلاً كيميائيًا ، يتعلق معناه بطبيعة الموروثات ، التى تتحكم أولاً بتركيب البروتينات الملائمة » [١] .

ويقول الأستاذ كاترفاج مدير متحف التاريخ الطبيعى بباريس : « إننا لا نعلم كيف تكوَّنت الأنواع الحية ، إننا نعلم فقط أنها غير قابلة للتحول ، وإننا على يقين بأن داروين [٢] . ولامارك [٣] لم يكتشفا الناموس الحقيقى لطريقة تكوينها » [٤] .

يقول الدكتور أ . كريسى موريسون [٥] : « إن القائلين بالتطور

---

(١) أوجين شريدر : البيولوجية الإنسانية ، ترجمة د . خليل الجر ، سلسلة المنشورات العربية « ماذا أعرف » المطبعة البولسية . جونية ، ص ١٥ .

(٢) دارون ، تشارلز روبرت : عالم طبيعة إنجليزى بجامعة كامبردج ، عاش فيما بين (١٨٠٩ - ١٨٨٢) ، وقام برحلة بحرية (١٨٣١ - ١٨٣٦) زار خلالها جزر الرأس الأخضر ، وآزار وسواحل أميركا الجنوبية ، وكانت هذه الرحلة منطلقاً لفرضيته المعروفة بـ « النشوء والإرتقاء » ، وأشهر آثاره كتاب « أصل الأنواع » .

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٣ ص١٥٥

(٣) لامارك ، جان باتيست : عالم بيولوچى فرنسى ، عاش فيما بين (١٧٤٤ - ١٨٢٩ م) ، وهو يرى أن الصفات المكتسبة تُحدث فى الحيوانات والنباتات تغيرات عضوية .

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٦ ، ص ٨٣ - ٨٤

(٤) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ١١٤

(٥) أ . كريسى موريسون : هو الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك ورئيس المعهد الأمريكى لمدينة نيويورك ، وعضو المجلس التنفيذى لمجلس البحوث القومى بالولايات المتحدة ، وعضو مدى الحياة فى المعهد الملكى البريطانى .

أ. كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٢ - ١٣

(النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة (الچينات)، وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقاً ، أعنى عند الخلية ذلك الكيان الذى يحتوى الچينات ويحملها » [١] .

وحيث إن الفرضية تقول بالتطور فإنه يجب أن تنقرض الأحياء ذات الخلية الواحدة بناء على قانون تنازع البقاء .

ولكن ما نشاهده أن المخلوقات ذات الخلية الواحدة جنباً إلى جنب مع المخلوقات ذات الخلايا المتعددة [٢] .

ولعل ذلك ما دفع دارون نفسه إلى أن يقول : « إن التطور لا يعنى بالضرورة تطوراً من نوع إلى آخر ، بل قد يكون تطوراً داخل النوع يتمكن به من التكيف مع البيئة » [٣] .

والأرض تعج بآلاف المخلوقات - حيوانات ونباتات - ولم يثبت أن هناك شيئاً منها قد تحوّل إلى نوع آخر طفرة وكان له الحياة أو تطوّر تدريجياً إلى نوع آخر [٤] ، « وكل التغيرات التى يمكنها أن تحدث سطحية لا تمس التركيب الجوهرى للحيوان ، أو النبات ، وبعضها باثولوچية (مرضية) تقود إلى انقراض النوع ... وإن الاختبار الاصطناعى الذى جرّبه بنو الإنسان فى خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية دارون » [٥] .

وإن الصفات الوراثية إما أن تكون سائدة أو متنحية ، والأمراض المتنحية تظهر بنسبة أكبر فى زواج الأقارب ، لأنهم يحملون كثيراً من الصفات الوراثية

---

(١) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٤٧

(٢) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون (مرجع سابق) ص . ٥

(٣) تشارلز داروين : أصل الأنواع (مرجع سابق) ص ٣٧٣ - ٣٧٥

(٤) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الإسلامية (مرجع سابق) ص.١١-١١١
عمر سليمان الأشقر : العقيدة فى الله (مرجع سابق) ص ٧٦

(٥) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ١١٤ بتصرف .

المشتركة والمتنحية ... وإن الطفرات الكبيرة تمنع نمو البويضة المخصبة أو تؤدى إلى موت الفرد [١] .

« وإن الحلقة المفقودة ناقصة بين طبقات الأحياء ، وليست بالناقصة بين الإنسان وما دونه فحسب ، فلا توجد حلقات بين الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، والحيوانات ذوات الخلايا المتعددة ، ولا بين الحيوانات الرخوة والمفصلية ، ولا بين الحيوانات اللافقرية والفقرية ، ولا بين الأسماك والحيوانات البرمائية ، ولا بين الأخيرة والزحافات والطيور ، ولا بين الزحافات والحيوانات الثديية ، وقد ذكرت على ترتيب ظهورها فى العصور الچيولوچية » [٢] .

أما بالنسبة للتهجين بين نوعين من الأحياء التى يمكن أن يقع بينها تهجين كالخيل والحمير ، فهجينها بغل عقيم [٣] .

قال تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] .

وربما كان فى قوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ إشارة إلى مخلوقات كثيرة تظهر كهجين لنوعين من الأحياء .

وإن ما يردده بعض الأمريكيين عن إمكانية التهجين بين الإنسان والقرد ، ومحاولة نسبة ذلك إلى سلالة زنوج إفريقيا [٥] تعدياً ، ينمى عن نزعة عنصرية ، فإنه من الثابت علمياً أن التهجين بين نوعين من المخلوقات يُولّد عقيماً بمعنى أنه يلاقى حتفه فى نفسه ، وليس له ذُرِّية .

أما بالنسبة لمن مُسخوا من اليهود فقد قال تعالى فيهم : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَنْ مَا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [٦] .

---

(١) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٤٧

(٢) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ١١٤ - ١١٥

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٥٠

(٤) النحل : ٨

(٥) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٥١

(٦) الأعراف : ١٦٦

وعن عبد الله بن مسعود قال : ... فقال رجل : يا رسول الله ؛ القردة والخنازير هى مما مُسِخ ؟ ، فقال النبى ﷺ : « إن الله عز وجل لم يُهلك قوماً ، أو يُعذِب قوماً ، فيجعل لهم نسلاً ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » [١] .

فإذا كان الله تعالى لم يجعل لمن مُسِخوا ذرية رحمة وتكريماً للإنسان ، فمن باب أولى أن لا يكون الإنسان بشكل عام أبناء عمومة للقردة ، وأن والدهم حيوان ، كما يزعمه التطوريون .

٣ - الحفريات :

إن من الملاحظ اختلاف علماء الحفريات كثيراً فيما بينهم حول ما عُثِرَ عليه من الجماجم والفكوك والأسنان ... فنجد من العلماء من يجعلها للإنسان ، وهناك من يجعلها للقردة .

وإننى أرى أنه يجب أن يكون هناك تناسب بين بعض المخلوقات وآدم عليه السلام ، الذى طوله ستون ذراعاً ، وعرضه سبعة أذرع كالخيل مثلاً ، وهى التى اختارها له ، ولا شك أنها لم تكن بحجمها الحالى .

وبالتالى هل حجم رأس آدم عليه السلام هو حجم رأس الإنسان الحالى ؟ وهل حجم رأس القرد أيام آدم عليه السلام هو حجم رأس القرد فى الوقت الحالى ؟

وعلى هذا فتلك الجماجم ، أو الأسنان ، أو الفكوك التى عثر عليها الإنسان من الحفريات بين أمرين :

- إما أن تكون لقردة وإن كانت أكبر فى الحجم من أعضاء القردة الحالية .

- وإما أن تكون للإنسان وإن كانت أكبر فى الحجم من أعضاء الإنسان الحالى ، وهو ما يُسمى فى بعض الكتب بالإنسان العملاق أو الكبير [٢] .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ٣٣ ، جـ ٤ ، ص ٢٠٥١ - ٢٠٥٢

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٠ - ٩٣

« وكثيراً ما لم يحصل التمييز بين تأخر الحضارات والتأخر البيولوچى ، والمثل المفضل هو مثل السكان الأستراليين الأصليين ، الذين يُوحِى نمط حياتهم بماض سحيق ما داموا لم يختلطوا بالخارج ، ومن ناحية أخرى تبدو فى الجمجمة الأسترالية خاصيات تسترعى انتباه المراقب ، فقبتها المستطيلة ، والحاجبان البارزان تَذكِّر على الفور بالأحافير البشرية ، ومما لا ريب فيه أنها أقرب الجماجم الحالية من الجمجمة النيندرتالية [١] .

ومع ذلك إذا وُضِعَت أمام أعيننا جماجم نيندرتالية حقيقية ، وجماجم أوروبية حديثة ، وطُلِب أنْ نُصَنِّف جمجمة أسترالية فإننا سنُصنِّفها دون تردد بين الجماجم الأوروبية » [٢] .

ولقد قام العالِم السويسرى جوهانس هورزمر بإجراء الدراسات والتجارب الواسعة على الهياكل والجماجم ، فأثبتت له معارضتها لفرضية التطور ، فأعلن فى ١٠ مارس ١٩٥٦ أنه لا يوجد دليل (واحد من ألف) على أن الإنسان من سلالة القردة ، وأنه يعيش منفرداً وبعيداً عن القردة منذ عشرة ملايين سنة .

ولقد اكتشف خلال أبحاثه فك إنسان داخل قطعة من الفحم يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين عام ، وقدَّمها للمتحف الطبيعى فى مدينة بال فى سويسرا ، وموجودة فيه حتى الآن ، وهى أقدم قطعة عن الإنسان فى العالَم [٣] .

كما قام الدكتور ليكى مدير المتحف الوطنى فى كينيا بأبحاث فى هذا المجال

---

(١) النيندرتالية نسبة إلى واد النيندرتال على مقربة من مدينة دوسلوف فى ألمانيا الغربية ، الذى وجدت فيه بقايا هيكلية للإنسان عام ١٨٥٦ ، وقد عُرفت بالإنسان النياندرتالى الذى سكن أجزاء واسعة من أوروبا والمناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط فى أواخر البليستوسين .

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٩ . ١

(٢) أوچين شريدر : البيولوچية الإنسانية (مرجع سابق) ص ٤٤ بتصرف .

وانظر : د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ٢٨

(٣) عبد الرزاق نوفل : اللّه والعلم الحديث ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ص ٢٢٨

قيس القرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٧٥ - ٧٦

انتهت عام ١٩٤٦ ، واكتشف - خلال مدة بحثه - جمجمتين ، وقيس عمرهما بأجهزة الإشعاع الذرِّى فبلغ عمرهما مليونين وستمائة ألف سنة ، وحجم مخها ضعف حجم مخ القرد .

كما اكتشف فى عام ١٩٧٦ جمجمة لإنسان كان يمشى على قدميه يرجع عمرها إلى ١ر٨ مليون سنة .

وأن هذه الاكتشافات وغيرها تدعو العلماء إلى إعادة النظر فى التاريخ الحقيقى لعمر الإنسان على الأرض [١] .

وأما ما يُقرره علماء التطور من أن طول أناسى البليستوسين الأوسط ، أو ما يسمونه بالإنسان القردى القائم - قبل ظهور الإنسان الحالى - ١٦٠ - ١٧٠ سم [٢].

وما يقررون من أن طول أناسى البليستوسين العلوى (منذ ٢٠٠٠ ألف سنة) ، أو ما يسمونه بالإنسان المفكر أو الحالى ١٦٦ - ١٧٤ سم [٣] .

فإن المعروف أن آدم عليه السلام طوله ستون ذراعاً ، وأن الخلق لم يزل ينقص حتى الآن ، وهذا يجعلنا نقول إن تقدير العمر الحقيقى للإنسان لا يزال مجهولاً كما سبق فيما عُثِرَ عليه من آثار .

ومن المعلوم أن الإنسان الحالى من سلالة نوح عليه السلام بعد الطوفان ، وأن السلالات الأُخرى قد انقرضت .

---

(١) د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ٢٨

قيس القرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٩١ - ٩٢

مجلة المنهل السعودية ، السنة ٥٠ ، المجلد ٤٦ ، رجب ١٤٠٤ هـ ، ص ١٢٦

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١٠٤

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١٠٧

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (١) .

وإن ذلك يجعلنى أفترض أمراً لتقريب الموضوع وهو : أنه لو هلك الإنسان الحالى بجميع شعوبه وقبائله ما عدا سلالة فرد واحد من الأجناس البشرية ، ويكون له ذرِّية مع آلاف السنين ، وتتفرق فى الأرض وتعمل العوامل الخارجية عملها فى تقسيمهم إلى شعوب ، وقبائل ، وأجناس مختلفة .

فماذا سيقولون عن جماجم الإنسان الحالى بشعوبه المختلفة والمتنوعة ... ؟ وخاصة مع ملاحظة أن طول الإنسان يتناقص كما سبق .

وإن سر العقل عند الإنسان ليس كبر دماغه ، فيقول فايدنرايش : إن وزن الدماغ ليس مقياساً للذكاء ، وإلا لكان الفيل الذى يحتوى دماغه على ٥٠٠٠ سم٣ وأكبر فظ (٢) . الذى يحتوى على ضعف كبر الدماغ الإنسانى ، لكان كلاهما أذكى من الإنسان ، وكذلك لو كانت نسبة وزن الدماغ إلى وزن الجسم هى المقياس لرجح ذكاء القرد أبو قبعة (الكابوتسينى) بنسبة ١ جرام من الدماغ إلى ١٧٫٥ من وزن الجسم على ذكاء الإنسان بنسبة : ١ : ٤٠ (٣) .

وكذلك فإن حجم مخ القردة الجنوبية أكبر حجماً من مخ القردة العليا ، ولم تكن مثلها فى درجة الذكاء ، وإنما أقل منها (٤) .

كما أن مقاييس الذكاء لم تأخذ بوزن أو حجم الدماغ كمقياس للذكاء رغم ما نعرفه من عيوب كثيرة لها .

---

(١) الصافات : ٧٥ - ٧٧ (٢) حيوان بحرى شبيه بالفقمة .

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١١٦

وانظر : قيس قرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٧٥

د . يسرى عبد الرزاق الجوهرى : السلالات البشرية . دار المعارف بالقاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٧م ، ص ١٤

(٤) قيس قرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٧٥

٤ - التشابه :

إن التشابه بين الأحياء يفرضه التشابه بينها فى قوانين الخلق ، وسُنَن الكون، والنمو ، وأثر البيئة ، فالخلق كله يحكمه نظام موَّحد وتدبير الخالق سبحانه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

فالأحياء انحدرت جميعها من أصل واحد ، فالنباتات تتغذى على مواد غير عضوية (التراب + الماء) ، والحيوانات تتغذى على النباتات كما أن بعضها يتغذى أيضاً على بعض ، والإنسان يتغذى عليهما (٣) .

فليست الأحياء كلها تتغذى مباشرة على مواد غير عضوية ، ولكن ذلك للنباتات ، ثم عليه يتغذى الإنسان والحيوان .

فليس من الغرابة إذن أن تتشابه ، وهى تتشابه فى قوانين حيوية عامة ، ولكن الغرابة أن لا تتشابه ، ولعل من أوضح ذلك نظام التغذية ، الذى يدعو إلى وجود تشابه فى الخلايا التى تتكوَّن فى الحيوان والإنسان ، لأن الغذاء عامل رئيسى فى تكوينها (٤) .

وإن التنوع فى المخلوقات التى لا حصر لها وبالذات فى الحيوانات جعل من المستحيل أن يتصور الإنسان مخلوقاً من مادته يمكن أن يُقال عنه إنه مخلوق مستقل .

وإن الله تعالى جعل التشابه والتنوع دليلاً على القُدرة على الخلق .

---

(١) الأنعام : ٣٨ (٢) يس : ٣٦

(٣) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٣٤٢ - ٣٤٣

(٤) د . حسن هويدى : الوجود الحق (مرجع سابق) ص ٧٤

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٣٤٢ - ٣٤٣

قال تعالى : ﴿ واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ منْ مَاء ، فَمنْهُمْ مَّنْ يَمْشى عَلَى بَطْنه وَمنْهُمْ مَّنْ يَمْشى عَلَى رجْلَين وَمنْهُمْ مَنْ يَمْشى عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ، إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَديرٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجْنَا به نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا منْهُ خَضِراً نُخْرِجُ منْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ منْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انْظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إنَّ فِى ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٢).

والإنسان لا يمكن أن يتعامل أو يتفاعل إلا مع المخلوقات التى خُلقَت من مادته ، ومن هنا جاء الاعتراض الإلهى على أن يرسل مَلَكاً فى الرسالات السماوية (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِىَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ (٤) .

وقد سجل العلماء قبل دارون التدرج والتشابه بين المخلوقات كقدماء اليونانيين ، وعلماء الإسلام .

« ومما يشبه القول بتطور الكائنات وتدرجها قول الفارابى (٥) فى شرحه

---

(١) النور : ٤٥ (٢) الأنعام : ٩٩

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص . ٢٣٩

(٤) الأنعام : ٨ - ٩

(٥) أبو نصر الفارابى ، محمد بن محمد طرخان (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ) ويُعرف بالمعلم الثانى ، ومن أكبر فلاسفة المسلمين وأحد أوائل المفكرين الذين عرّفوا المسلمين بفلسفتى أفلاطون وأرسطو ، وحاول التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية ، وله نحو مائة كتاب ، ومنها كتاب «إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها » و « مبادىء الموجودات » و « السياسة المدنية » و « جوامع السياسة » و « النواميس » .

خير الدين الزركلى : الأعلام ، دار العلم للملايين ببيروت ، ط ٥ (١٩٨٠م) جـ ٧ ص . ٢

لأقوال المعلم الأول [١] من كتاب « آراء أهل المدينة الفاضلة » أن « ترتيب هذه الموجودات ، هو أن تُقدَّم أولاً أخسها ثم الأفضل فالأفضل ، إلى أن تنتهى إلى أفضلها الذى لا أفضل منه ، فأخسها المادة الأولى المشتركة ، والأفضل منها الإسطقات ، ثم المعدنية ، ثم النبات ، ثم الحيوان غير الناطق ، وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه » [٢] .

ويقول القزوينى [٣] : « إن أول مراتب هذه الكائنات تراب ، وآخرها نفس ملكية طاهرة ، فإن المعادن ، متصلة أولها بالتراب أو الماء ، وآخرها بالنبات ، والنبات متصل أوله بالمعادن ، وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل أوله بالنبات ، وآخره بالإنسان ، والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان ، وآخرها بالنفوس الملكية ، والله تعالى أعلم بالصواب » [٤] .

« أما الحيوان ففى المرتبة الثالثة من الكائنات ، وأبعد المولدات عن الأمهـات ، لأن المرتبة الأولى للمعادن ، وهى باقية على الجمادية لقربها من البسائط ، والمرتبة الثانية للنبات ، فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشوء والنمو وقوات الحس والحركة فى المرتبة الثالثة ، فإنه قد جمع بين النشوء والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة فى جميع أفراد الحيوان » [٥].

---

(١) أرسطوطاليس ، وقد عاش فيما بين (٣٨٤ - ٣٢٢ قبل الميلاد) ، وهو فيلسوف يونانى ، وتتلمذ على أفلاطون ، وأستاذ الإسكندر المقدونى ، وجرت فلسفته فى اتجاه مغاير لمثالية أفلاطون، ومن أشهر مؤلفاته كتاب « السياسة » ، وكتاب « ما وراء الطبيعة » ، وكتاب « الطبيعة » ...

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٥٩

(٢) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٩

(٣) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (٦٠٥ - ٦٨٢ هـ) وهو مؤرخ ، وجغرافى ، وقاضى ، ومن أشهر كتبه « آثار البلاد وأخبار العباد » .

خير الدين الزركلى : الأعلام (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٤٦

(٤) القزوينى (زكريا بن محمد) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، مكتبة التقدم بمصر، ص ٢٤١

(٥) المرجع السابق ، ص٣٣٧ - ٣٣٨ .

« ومقتضى الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ، ونوعه ، لا زائداً ولا ناقصاً ، ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها ، وتنوّعت أنواعها بأنواع كثيرة » [١] .

ويقول إخوان الصفا [٢] : « واعلم يا أخي - أيّدك الله وإيانا بروح منه - أن البارىء جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع الكائنات جعل أصلها كلها من هيولى (مادة) واحدة ، وخالف بينها بالصورة المختلفة ، وجعلها أجناساً وأنواعاً مختلفة متفننة متباينة ، ثم قوّى ما بين أطرافها ، وربط أوائلها وأواخرها ، بما قبلها (وما بعدها) رباطاً واحداً على ترتيب ونظام لما فى ذلك من إتقان الحكمة وحكام الصنعة ، لتكون الموجودات كلها عالماً واحداً منتظماً نظاماً واحداً وترتيباً واحداً ، ولتدل على صانع أحد » [٣] .

« فمن أجل تلك الموجودات المختلفة الأجناس المتباينة الأنواع المربوطة أوائلها بأواخرها، وأواخرها بما قبلها فى الترتيب وانتظام المولّدات الكائنات التى دون فلك القمر ، وهى أربعة أجناس : المعادن والنبات والحيوان والإنسان . وذلك أن كل جنس منها تحته أنواع كثيرة ، فمنها ما هو بين الطرفين فأدون المعادن مما يلى التراب الجص ... والطرف الأشرف الياقوت والذهب الأحمر ...

وهكذا حكم النباتات فإنها أنواع متباينة ، ولكن منها ما هو فى أدون الرتبة مما يلى رتبة المعادن وهو خضراء الدمن (والكمأة وأنواع الفطر) وخضراء الدمن ليست بشىء سوى غبار يتلبد على الأرض والصخور والأحجام ، ثم يصيبها المطر

---

(١) القزوينى (زكريا بن محمد) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (مرجع سابق) : ص ٣٣٨

(٢) جمعية إسلامية فلسفية باطنية تألفت على نحو سرى فى البصرة أواخر القرن العاشر للميلاد ، اسمها الكامل « إخوان الصفا وخلان الوفا » ... من مؤسسيها زيد بن رفاعة وأبو الحسن الزنجانى ، وأبو سليمان المقدسى ، وأبو أحمد المهرجانى .

منيرالبعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٣) د . عمر فروخ : إخوان الصفا - دار الكتاب العربى - بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ، ص ٨٨

فتصبح بالغداة كأنها نبت زرع . ومن أجل أن هذا النوع ليس له ثمرة ولا ورقة وأنه يكون فى التراب كما تكون المعادن صار من هذه الجهة يشبه المعادن ، ومن جهة أُخرى يشبه النبات ... وأما النخل فآخر المرتبة النباتية مما يلى الحيوانية ، وذلك أن النخل نبات حيوانى لأن بعض أحواله مباين لأحوال النبـات ، وإن كان جسمة نباتاً ... والدليل على ذلك أن أشخاص الفحولة منه مباينة لأشخاص الإناث .

وأما أدون الحيوان وأنقصه فهو الذى ليس له إلا حاسة واحدة ، حاسة اللَّمس فحسب ، كالأصداف وما كان كأجناس الديدان (وهذه) كلها تتكوَّن فى الطين أو فى الماء أو فى الخل أو فى لُبِّ الثمر ... أو فى أجسام الحيوانات الكبار الجثة ... وهذا النوع من الحيوانات أجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجسمه رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه بالقوة الجاذبية ويحس اللَّمس ، وليس له حاسة أُخرى ، لا الذوق ولا الشم ولا السمع ولا البصر ... وهو سريع التكون وسريع الهلاك والفساد والبِلى . ومنها ما هو أتم بنية وأكمل خِلقة كالدود المتكوَّن على ورق الشجر والنبات ، ولها ذوق ولمس ... ثم منها ما هو أكمل أيضاً وهو كل حيوان له لمس وذوق وشم ... وهى الحيوانات التى تعيش فى قعر البحار والمواضع المظلمة .. ثم تأتى الهوام والحشرات التى تدب فى المواضع المظلمة ولها لمس وذوق وسمع وشم ولكن ليس لها بصر ...ثم يأتى ما هو أتم بِنية وأكمل صورة وهو كل حيوان بدنه مؤلَّف من أعضاء مختلفة الأشكال إذ كل عضو مركَّب من عدة قطعات من العظام ...

ثم إن رتبة الحيوانية مما يلى رتبة الإنسانية هى ليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه ، فمنها ما قارب رتبة الإنسانية بصورته الجسدانية مثل القرد » [1] .

« وإن الحيوانات التامة الخِلقة الكبيرة الجثة العظيمة الصورة كلها كُوِّنت فى

---

(١) د . عمر فروخ : إخوان الصفا (مرجع سابق) ص ٨٩ - ٩٠ .

بدء الخلق ذكراً وأنثى من الطين تحت خط الاستواء [1] ومعنى ذلك أن الله تعالى خلق منذ بدء الخلق ذكراً وأنثى من الإبل ، وذكراً وأنثى من الخيل ، وذكراً وأنثى من الأسود والفيلة والنعام ... إلخ » [2] .

ويقول ابن خلدون [3] : « انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج ، فآخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط ، ومعنى الاتصال فى هذه المكوّنات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد الغريب لأن يصير أول أفق الذى بعده ، واتسع عالم الحيوان ، وتعددت أنواعه ، وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروّية ترتفع إليه من عالم القدرة الذى اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الرّوية والفكر بالفعل ، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده وهذا غاية شهودنا ... » [4] ، وإن العلماء

---

(١) ويرى بعض علمائهم « أن المدبر تعالى حرّك الفلك فصعدت البخارات الحادثة من صفو المعادن والنبات والحيوان ، فصارت غيوماً ، ثم انهلت على وجه الأرض أمطاراً صافية معتدلة ، وخددت الأرض خدوداً غير عميقة ، وقد صفا ذلك الماء فى عمقها ، ثم بخاراً على أشرف وألطف من الأول ، فانهل مطراً كثيراً نظير منّى الرجل ، فوقع فى تلك المغارات والخُدد الشبيهة بأرحام النساء ، فمازج الماء الكائن فيها المشاكل لماء المرأة ، فصار واحداً » .

فنشأ أولاً الذكور ، ثم الإناث من فضلات تلك المياه .

وهذا قول باطل ، ومعارض لصريح القرآن والسنة الصحيحة ، وإنما ذكرته لشىء من الإحاطة .

د . مصطفى غالب : مفاتيح المعرفة . مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ببيروت ، ١٤٠٢هـ ، ص ٨٢

(٢) د . عمر فروخ : إخوان الصفا (مرجع سابق) ص ٨٧

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) : مؤرخ وفيلسوف مسلم يُعتبر من أعظم المفكرين العالميين وُلدَ ونشأ فى تونس ، وارتحل إلى مصر وتولّى فيها قضاء المالكية ، ومن أشهر كتبه « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » و « مقدمته » التى اعتُبرت تأسيساً لفلسفة التاريخ ولعلم الاجتماع .

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٦١

(٤) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربى ، ببيروت ، ط٤ ، ص٩٦

السابقين لم يجعلوا هذه المراتب المتدرجة دليلاً على التطور من الأدنى إلى الأعلى فى التكوين الجسمى والإدراك .

وإنما جاء العالِم الفرنسى لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩) ثم العالِمان الإنجليزيان شارل دارون (١٨٠٩ - ١٨٨٣) وزميله والاس [١] (١٨٢٣ - ١٩١٣) [٢] ليفتحوا الأبواب بين هذه السلسلة من المخلوقات المتدرجة والمتنوعة فى التكوين الجسمى والإدراك كدليل على التطور ، ومحاولة تقنين ذلك ولو بالخيال والظنون والشكوك دعماً لهذه الفرضية .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا ، إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئاً ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [٣] .

وأما بالنسبة لما يسمونه بالأعضاء الأثرية ، والتى لها قيمة عند الحيوان وليس لها قيمة عند الإنسان ، وإنما هى مما ورثه الإنسان عن سَلَفه ، فهو ادعاء لأن عدم معرفة الفائدة أو عدم الضرر من استئصالها ، لا يعنى عدم وجود فائدة لها .

- فالمعى القصير (ما يُسمى بالزائدة الدودية) لوحة بلغمية تزيد فى الدفاع عن الأمعاء [٤] ، وكذلك فإن « الأبحاث والدراسات والتحاليل الحديثة أكدت أن للزائدة وظيفة غاية فى الأهمية ، فإن النسيج الليمفاوي الذى يبُطنُّ الجدار الداخلى للزائدة هو الذى يتولى إخراج خلايا المناعة المسماة (ليمفوسيت ب)

---

(١) والاس ، من أكبر علماء البيولوجيا فى إنجلترا ، عاش فيما بين (١٨٢٣ - ١٩١٣) ، وكان ممن أسهموا فى وضع الجغرافيات الحيوانية .

محمد خليل الباشا : التقمص وأسرار الحياة والموت . دار النهار للنشر ببيروت ، ١٩٨٢ م ص ٣١١

(٢) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٠

(٣) يونس : ٣٦

(٤) د . حسن هويدى : الوجود الحق (مرجع سابق) ص ٧٦

أثناء تكوين الجنين فى رحم أمه ، وتقوم هذه الخلايا بدورها بفرز الأجسام المضادة للعدوى ، ووقاية الجنين » [١] .

- وعضلات الأذن الضامرة يمكن أن يكون لها أهمية كبيرة فى عملية نصب صيوان الأذن أثناء تخلق الجنين فى بطن أمه ليكون فى هذه الصورة الجميلة [٢].

- والجفن الثالث له أهمية فيما يهبه من الوقاية الباطنية للعين [٣] .

٥ - آدم والتكوين :

مما سبق يتضح ضعف فرضية التطور فى تفسير تكوين الأحياء بشكل عام .

ونترك ذلك لنعود إلى الإنسان بالذات ، لنُضيف ما يمكن من أدلة تتعلق به :

١ - إن خلق آدم عليه السلام تم فى الجنة من مادة هذه الأرض ، وليس فى جنة أرضية ، وأنه هبط إليها بعد المعصية للأسباب التالية :

(أ) إن آدم عليه السلام قد حصل - وهو فى الجنة - على صفات أهل الجنة بعد خلقه فيها ، فهو يرى ويتكلم ويسمع ويخالط الملائكة ، كما حصل هو وزوجه على ستر من الله تعالى لسوءاتهما .

(ب) إن المؤمنين يوم القيامة فى مقام الشفاعة يذكرون خصوصيته عليه السلام فى الخلق ، وسكن الجنة .

(جـ) إن أهل الجنة يدخلون الجنة يوم القيامة على صفة آدم عليه السلام ، مما يشير إلى أن مثل ذلك ما يناسب المقام فى الجنة .

(د) إن الله تعالى أمر جميع ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام عند خلقه ، وتصور ما هى الأرض ، أو جنة فيها بالنسبة لجميع الملائكة فى ملكه تعالى ؟

---

(١) طبيك الخاص ، العدد ١٦٩ - السنة الخامسة عشرة ، يناير ١٩٨٣ ، ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) (٣) د . حسن هويدى : الوجود الحق (مرجع سابق) ص ٧٦

فهل يمكن أن تكون مكان لسجود جميع الملائكة ؟ والملائكة مُكلَّفون بمهام كبيرة وعظيمة عند الله تعالى .

(هـ) إنه من سُنَن الله تعالى أن رفع إليه بعض أنبيائه عليهم السلام إلى السماء كالإسراء والمعراج بالنبى محمد ﷺ وآدم أبى البشر ، ونبى من أنبيائه، والمقام مقام تشريف ، وتكريم له عليه السلام ولذُرِّيته ، واحتفالاً بالإنسان ، فأعتقد أنه من الأولى أن يكون خلقه فى السماء بين ملائكته ، وأن لا يهبطوا إلى الأرض لأن المقام كما قلنا مقام تشريف وتكريم ، وهما يكونان عند المكرم وصاحب التشريف .

(و) هل جنة أرضية يمكن أن يتمسك فيها آدم عليه السلام ، ويطلب فيها الخلود ومُلك لا يُبلى ، ويندم على خروجه منها إلى جميع الأرض بعد معصيته وقبول توبته ، وهل جزاء المعصية الخروج من جنة أرضية إلى الأرض كلها ؟ وهل تجعل إبليس - لعنه الله - يبنى فى نفسه كل هذا الحقد والحسد لآدم عليه السلام ؟ [1] .

إننى أعتقد أنه من الأولى أن تكون جنة فى الملإ الأعلى .

٢ - إن مراحل خلق آدم عليه السلام تراب ، ثم طين ، ثم حمإ مسنون ، ثم صلصال كالفخار .

فالصلصال بهذا الوصف يُشير إلى انعدام الحياة فيه - كما سبق - بينما فرضية التطور أو بعض المسلمين ممن يفسرون القرآن حسب فرضية التطور من مرحلة « حمإ مسنون » [2] وإنه من هذا الحمإ المسنون خرجت الخلية الأولى ، ثم بدأت فى التطور .

وهذا غير صحيح لأن مرحلة « حمإ مسنون » تلتها مرحلة « صلصال كالفخا ر» .

---

(١) محمود شلبى : حياة آدم (مرجع سابق) ص ١٢٢ - ١٢٥

(٢) د . مصطفى محمود : القرآن ..محاولة لفهم عصرى (مرجع سابق) ص ٦٥ - ٦٦

٣ - قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ، يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ، أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ، يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ، ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

يتضح من هذه الآيات أن نسل آدم عليه السلام هم الذين خُلقوا من ماء مهين ، وفى ظلمات ثلاث ، وأن آدم عليه السلام وزوجه لم يُخلقا كذلك .

كما يدل عليه سياق الآيات الأولى ، فإنها فى معرض بيان مخلوقات الله تعالى وقُدرته وتعددها وفضله (٣) .

أما حسب فرضية التطور فإنه عليه السلام وزوجه يجب أن يكونا من ماء مهين ، وخُلقا فى ظلمات ثلاث ، ووالداهما حيوانان شبيهان بالإنسان ، أو حيوانان شبيهان بالقرد .

٤ - إن منطوق فرضية التطور أن الإنسان يسير إلى الأفضل بينما العكس هو الصحيح ، لا من ناحية التكوين الجسمى والصحة والعافية والقوة ، فآدم عليه السلام عاش ألف سنة ولا شك أنه يمتاز بما يجب أن يكون عليه من ذلك لمثل هذا العمر .

ولا من ناحية الجمال ، فأهل الجنة يدخلونها على صورته - كما سبق - فالخلق إذن يتناقص من ناحية التكوين الجسمى والجمال ...

---

(١) الزمر : ٥ - ٦ (٢) السجدة : ٧ - ٩

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٤ ص . ٤٥

٥ - فرضية وليست حقيقة علمية :

إن فرضية التطور (النشوء والارتقاء) فرضية ، وليست حقيقة علمية لا تقبل النقاش ، والأدلة على بطلانها كثيرة ، وخاصة على مستوى براهينها الحالية .

« والعلم عندما يخوض فى هذه المسائل ، التى تتعلق بأصل الكون ، وأصل الأرض ، وأصل الإنسان ، وغيرها من الأصول ، إنما يخرج على المنهج العلمى ذاته ، لأن المنهج العلمى إنما يهتم بما هو كائن أمامه لا بما لم يره ، وإذا توفّر لديه علم على ما لم يره فإن هذا العلم لا يتوفر لديه إلا مما هو قائم أمامه ، وحينئذ يقول : يُظن ، ويُحتمَل ، وغيرها من الألفاظ التى تدل على الشك ، لا على اليقين » [١] .

« ولست أتردد فى التصريح بأن احترام العقل البشرى ذاته يُوجب عليه أن يُفسح للمجهول مجاله ، وأن يحسب له حسابه ، لا عن طريق الإيمان الدينى ، ولكن عن طريق التفكير العلمى ، وإن العقل البشرى ليسقط احترامه حين يدّعى أنه يعلم كل شىء ، وهو لا يعلم نفسه ، ولا يدرى كيف يُدرك المدركات ...

وليس فى هذا إنكار للفكر الإنسانى وحريته ، ولكن فيه احترام لهذا الفكر ، بمعرفة قدرته ومجاله .

وإذا كان رجال الدين فى أوروبا - لا الدين ذاته - قد وقفوا فى طريق حرية البحث العلمى - حتى فى العالم المادى - فنشأت عداوة جارفة بين رجال الفكر ورجال الدين ، فلا يجوز أبداً أن ننقل الموضوع برمته إلى الشرق وإلى الإسلام ، فيكون مظهر حرية الفكر الوحيد عندنا ، هو التهجم والتقحم بلا سند إلا هذا السند الذى يتجاوز دائرته . فهذا هو نفسه التقليد المعيب ، الذى يدل على أن حرية الفكر هذه زى من أزياء (المودة) نُقلّده تقليد القرود » [٢] .

---

(١) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون (مرجع سابق) ص ٩٥

(٢) سيد قطب : التصوير الفنى فى القرآن - دار الشروق ، ط ٦ ، ١٤٠٠ هـ ، (١٩٨٠ م) ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧

وإن فرضية التطور مُعارَضة - كما سبق - على مستوى عريض من علماء الأحياء أهل الاختصاص .

كما أنها تُدرس - عند أكثر الأساتذة - فى الغرب على أنها فرضية من أقرب الفروض ، ولم يقولوا عنها إنها حقيقة علمية ، وقد صدرت تعليمات على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام (١٩٨٢ - ١٩٨٣) أن يُشار إليها فى الكتب المدرسية على أنها فرضية وليست حقيقة علمية ، وقد سبقت فى ذلك ولاية كاليفورنيا الأمريكية حيث « قرر المجلس التعليمى الحكومى بولاية كاليفورنيا الأمريكية فى عام ١٩٧٣ أن تُشير جميع الكتب المدرسية للعلوم أن نظرية الارتقاء الداروينية نظرية افتراضية ، وليست حقيقة علمية » [١].

ولا شك أن ذلك انتكاس للفرضية فى مجال البحث العلمى ، وذلك بعكس ما نلاحظه فى العالَم العربى والإسلامى الذى تُدرس فيه بكل تحمس من بعض أساتذتها ، وكأنها من الحقائق المُسلَّم بها .

والمؤمنون بالخالق من أصحاب الفرضية يجعلونها دليلاً على وجود الخالق المبدع للمخلوقات .

« وقد قال والاس فى كتابه « عالَم الحياة » متحدثاً عن عقيدة داروين : « إنه على ما يظهر قد صار إلى نتيجة واحدة وهى أن الكون لا يمكن أن يكون قد وُجِدَ بغير علة عاقلة ، ولكن إدراك هذه العلة على أى وجه كامل يعلو على إدراك العقل البشرى » .

ثم عقَّب والاس قائلاً : وإننى لأولى هذه النظرية كل عطفى وشعورى ، ولكن مع هذا فإننا مستطيعون أن نلمح قبساً من القدرة التى تعمل فى الطبيعة ،

---

(١) محمد جواد مغنية : الإسلام بنظرة عصرية ، دار العلم للملايين ببيروت ، ط ٣ ، ص ٥٧ - ٥٨ بتصرف .

يساعدنا على تذليل الصعوبة البالغة التى تحول دون العلم بحقيقة الخالق ، الذى لا أول له ولا آخر » [١] .

كما أن الأمانة العلمية متوفرة عند المؤمنين بالخالق بنسبة كبيرة فى مجال البحث العلمى فيما يتعلق بالفرضية ، وأن التطور الهائل فى وسائل البحث العلمى الحديثة قد تتيح الفرصة إلى كشف أسرار مهمة بالنسبة إلى فرضية التطور بشكل عام تؤيد ، أو تعارض .

ولكن ما أعتقده وأومن به بالنسبة إلى موضوع الإنسان بالذات أنه خُلِقَ خلقاً مستقلاً ، وأنه ذرية لآدم عليه السلام وزوجه .

وأن الفرضية عند أهل الإلحاد ستبقى موجودة وستستمر أدلتها وأدلة الإلحاد معها - بأن ذلك تطور تلقائى محض [٢] - لأنها تمثل فلسفة جديدة للإلحاد يمكن أن تغتر بها الشعوب بوجه عام بما تحمله من رسم خيالى ، مع إنكار للشكوك والظنون فيها ، لتأثير فلسفة الحياة عند أهل الإلحاد ، إلى أن يظهر إلى الوجود فرضية أُخرى تضاهيها .

* * *

(١) عباس محمود العقاد : عقائد المفكرين فى القرن العشرين . مكتبة غريب ، القاهرة ، ص٥٧ - ٥٨

(٢) لهنترميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١٠٥

عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٨